مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية
المجلد42 العدد (2) – 2026: 418-429

Damascus University Journal for engineering sciences
Vo 42 number (2) -2026: 418-429

رمزية الثعبان وقيمه التشكيلية في النحت القديم

غاندي الخضر*[1] فؤاد دحدوح[2]

[1*]. طالب دكتوراه– قسم النحت– كلية الفنون الجميلة–جامعة دمشق.
ghandykk19@Damascusuniversity.edu.sy

[2]. أستاذ، دكتور، قسم النحت، كلية الفنون الجميلة، جامعة دمشق.
FouadDahdoh@Damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

يظهر عنصر الثعبان بكثرة في النحت القديم، لما فيه من أبعاد رمزية تتصل بالحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية، إضافة إلى احتوائه على القيم التشكيلية والجمالية المناسبة لتنفيذ الأعمال النحتية وتكويناتها.

فما هي رموز وإيحاءات الثعبان في أعمال النحت القديم؟ ولماذا وُجد بهذه الرمزيات؟ وكيف جُسِّدَ؟ وما هي دوافع توظيفه في النحت؟.

من هنا تأتي أهمية هذا البحث، في فهم رمزية الثعبان، ومعرفة قيمه التشكيلية، وهي الخط والملس واللون والتكوين.. وبالتالي، علاقته بالحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية ودلالاته المتعددة، والكشف عن جماليات هذا العنصر.

الكلمات المفتاحية: الرمز – الثعبان – القيم التشكيلية – النحت القديم.

تاريخ الإيداع: 2023/7/17
تاريخ القبول: 2023/9/10

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب CC BY-NC-SA

http://journal.damascusuniversity.edu.sy/index.php/index/index
ISSN (online): 2789-6854

The symbolism of the snake and its plastic values in ancient sculpture

Ghandy alkhedr*[1] Fouad Dahdoh[2]

*[1]. PhD Student - Undergraduate Department - Faculty of Fine Arts - Damascus University
ghandykk19@Damascusuniversity.edu.sy

[2]. Prof, Undergraduate Department - Faculty of Fine Arts - Damascus University.
FouadDahdoh@Damascusuniversity.edu.sy

Received: 17/7/2023
Accepted: 10/9/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a
CC BY- NC-SA

Abstract:

The snake element appears frequently in ancient sculpture, due to its symbolic dimensions related to religious and social beliefs, in addition to containing plastic and aesthetic values suitable for the implementation and composition of sculptural works.

What are the symbols and indications of the snake in the various works of ancient sculpture? And why was he found with these symbols? And how was it embodied? What are the motives for his employment in sculpture?

Hence, the importance of this research comes in understanding the symbolism of the snake, and knowing its plastic values, namely, line, texture, color, and composition.

Keywords: symbol - snake - plastic values - ancient sculpture.

المقدمة

يتناول هذا البحث ظاهرة الثعبان في النحت القديم، لما لهذا العنصر الحيواني المثير من اتصالات بمفاهيم كثيرة مرتبطة بحياة البشر قديماً، منها الاعتقاد بقوة كبيرة يتمتع بها الثعبان، ومعرفته أسرار الأرض والسماء والحكمة، إضافة إلى شكله الطبيعي والذي بالإمكان تحويله إلى أشكال فنية، وبالتالي إبراز قيمه الجمالية. وكانت الغاية من ذلك، الحماية والرضى والطمأنينة، مما توجب إقامة صِلات معه، وطقوس خاصة، وأعمالاً فنية تجسده أو ترمز إليه.

وللغايات المذكورة، خضع الثعبان في كثير من تفاصيله لارتباطات بحياة الإنسان القديم، لا لشيء إلا لأن الشكل والمضمون اللذان يظهر فيهما الثعبان وصلا لحالة من التجسيد والترميز. ويبين هذا البحث "أن الإنسان، بنزعته الواضحة لصنع – الرموز – يحوّل الأشياء أو الأشكال باللاشعور إلى رموز.. ثم يعبر عنها في طقوسه الدينية وفنونه البصرية" (يونغ، 204)، والثعبان واحد من الأشياء التي لها دلالة رمزية وبالتالي قيمة تشكيلية وجمالية.

المشكلة:

تنطوي مشكلة البحث على فهم رمزية الثعبان، والنظر إلى قيمه التشكيلية التي تنوعت وتعددت وفق الرؤية الفنية– النحتية والعقائدية وبالتالي معرفة كيف صاغ النحات هذه القيم في عمله النحتي؟ وما الدوافع التي جعلت النحات يُصمم مفردة الثعبان بأشكال ومضامين متعددة؟

المنهج:

اعتمد البحث في أجزاء منه على المنهج التاريخي، الذي ساعد الباحث على تتبع مسارات هذه المفردة الرمزية والتشكيلية والكشف عن مدلولاتها وفق فكر ورؤى بعض الحضارات والشعوب والجماعات القديمة، إضافة إلى اعتماد البحث على تحليل نماذج من الأعمال النحتية التي جسَّدت الثعبان، وفق القيم التشكيلية، والعناصر الفنية (جزئياً وكلياً).

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في معرفة هذا الكائن المثير، والذي اتخذ موقعاً مهماً في الفكر الإنساني العقائدي والفني والجمالي. والحق أن هذا الكائن قد تميز بسمات وصفات خاصة به ولذا كان له هذا الحضور في الأعمال الفنية ودراسته دراسة فنية إضافة مميزة في حقل الدراسات الفنية والجمالية، على وجه الخصوص.

فرضيات البحث:

يفترض الباحث أن للثعبان خصائص وصفات خاصة به، ميَّزته عن باقي الكائنات الحيوانية. وأن خصائصه الشكلية، وصفاته تصلح للمطابقة الفنية مع عناصر التصميم الفني (الخط – اللون –الشكل – الملمس –الإيقاع .. إلخ)، أي أن شكله العام، وخطوطه ولونه، وتكوينه، وحركته.. وصفاته، قد جعلته رمزاً يحظى كل هذه العناية.

الحدود:

نماذج وعيّنات من النحت القديم (مصري قديم – رافدي – فينيقي.. إلخ).

أولاً: رمزية الثعبان:

في هذه الفقرة عدد من التعاريف التي تدور حول مفهوم الرمز (لغة واصطلاحاً)، وبها يمكن فهم الرمزيات الكثيرة للثعبان.

الرمز (التعريف والمفهوم والدلالة):

الرمز لغةً: "تصْوريٌ خفيٌ باللسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوتٍ، إنما هو إشارة بالشفتين وقيل: الرمز إشارة وإيماءة بالعينين والحاجبين والشفتين والفم. والرمز من رَمَزَ ويَرْمُزُ ويَرْمِزُ رَمْزاً. والرَّمِيزُ: الكثير الحركة، والكبير"(ابن منظور، 1783).

إذاً، يتعيَّن الرمز من خلال "الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة"(أحمد، 1984، 35)، أي الإشارة بالكلمات إلى الأشياء الحسية.

"والرمز اشتقاقاً، مشتق من اليونانية Sumballein التي تعني التوثيق أو الربط. وكان المرموز في Sumballon علامة للتعارف. وأي شيء مقسم إلى قسمين متساويين يسمح بالتقارب.."(بنوا، 2001، 5) ، أو يشير"إلى شيء عن طريق علاقة بينهما، كمجرد الاقتران، أو الاصطلاح، أو التشابه accidental غير المقصود"(أحمد، 1984، 34).

كما أنه لا أهمية تُذكر للرمز إلا بمدى دلالته على الرغبات، أي أن الرمز نتاج الخيال اللاشعوري. فقد أشار عالم النفس (يونغ) إلى العلاقة الوثيقة بين الإنسان والحيوان، وأن "فكرة الحيوانية ترمز عادة للطبيعة البدائية والغريزة في الإنسان.. والروح الحيوانية هي رمز بالغ التعبير عن مثل هذا الدافع. حيث أن وضوح الصورة ومحسوسيتها يمكّنان الإنسان من إقامة علاقة معها باعتبارها تمثل القدرة المسيطرة لديه هو نفسه. وهو يخشاها، ويسعى للتلاؤم معها بواسطة الأضحيات والطقوس"(يونغ، 210)، إضافة إلى إقامة أعمال نحتية وتماثيل تعبيراً عنها.

وقد يكون الرمز، هو "كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، وعادة يكون الرمز بهذا المعنى شيئاً ملموساً يحل محل المجرد"(يونغ، 210)، أو يوازي الرغبات والأفكار في حياة البشر.

لقد زاد الاهتمام بدراسة الرموز، ومن حقول معرفية عديدة، لأن "الإنسان وحده هو الذي ينفرد عن الحيوانات جميعاً بالسلوك الرمزي وبالقدرة على استعمال الرموز والتعامل عن طريقها"(يونغ، 210)، وكان الثعبان من الرموز التي تفردت من بين الحيوانات، وكانت لها صلة بالإنسان منذ النشأة الأولى.

رمزية الثعبان:

يمكن النظر إلى أن تجسيد الثعبان وتكويناته في فن النحت القديم لا يمكن فهمه واستيعابه إلا في نطاق الرمز. حيث أن هذا الرمز وُجِد بكثرة في الأعمال الفنية – النحتية، إما كموضوعات عقائدية – دينية، أو كقيم فنية وجمالية.

والثعبان لغةً: هو"الحية الضخم الطويل الذَّكَر خاصة. وقيل: كل حيةٍ ثعبان. والجمع ثعابين. والثعبان الحية الذَّكَر الأصفر الأشعَر وهو من أعظم الحيَّات"(ابن منظور، 481).

وهو قبل كل شيء"رمز الأرض.. لأنه من جهة يدخل في تماس مع الأرض بكل جزء من جسده، الأمر النادر في المملكة الحيوانية، ومن جهة أخرى يغيب في بطن الأرض عدة مرات في اليوم، ويبقى في الأرض كل الليالي، وكل فصل الشتاء"(سيرينج، 1992، 117).

"وقد كان لكافة الحضارات، أمهات – ربات، وهي لم تكن على الأغلب سوى الأم المغذية، وفي كثير من الأحيان كان لهذه الأمهات – الربات رمز هو الثعبان"(سيرينج، 1992، 117).

"كما أن آلهةً اكتسبت حسب الأمكنة التي عُبدت فيها، بخصائص سماوية أو أرضية اكتسبت صفات الثعبان، أو تُصوَّر الآلهة على شكل ثعبان. فـ (زوس)، إله السماء بامتياز يظهر كإله للأرض عندما يدعى تحت اسم (زوس ميليثوس)، الذي له شكل ثعبان. وتقدم له المحرقات من القرابين"(سيرينج، 1992، 118). أي أن الآلهة حملت عدداً من الرموز التي تدل على الثعبان الذي ظهر أحياناً مرافقاً للإله أو بجانبه، الشكل(1).

الشكل (1) مجلة الآداب السومرية / العدد 4 / السنة الثانية / 2009
عبد الأمير الحمداني

ختم اسطواني يعود لعصر الإمبراطورية الاكدية 2370 – 2230 ق. م يظهر مشهد يجسد الإله من خلال غطاء الرأس المقرن الذي يعتمره ، تقابله إمرأة جالسة هي الأخرى على عرش وتنتصب بينهما شجرة مثمرة ربما هي شجرة الحياة. يبدو في حافة المشهد ثعبان صاعد إلى الأعلى، الثعبان والشجرة من رموز الخصب والنماء في المعتقدات الرافدية. أو ملتفاً حوله وحامياً له كما في تمثال الآلهة الفينيقية عشتارت، شكل (2) فتنعكس صفاته على الآلهة المرتبطة به ويعطيها من دلالاته، أو رمزياته، فيكون مثلاً "رمز عشتارت الحية"(العذارى، 2005، 90).

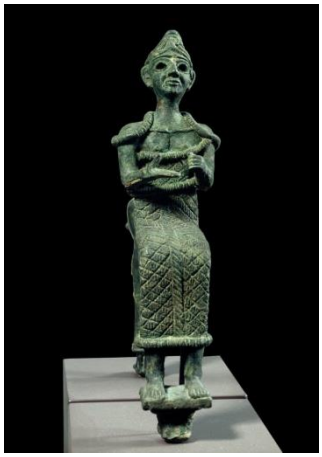

الشكل (2) نحت فينيقي يظهر الآلهة الفينيقية عشتارت وقد ألتفّت حولها الثعبان ليحميها ويعطيها من صفاته، عثر عليه في أوغاريت ويعود للقرن 13 ق.م

والثعبان رمز المعرفة والحكمة. فقد "كان في نظر القدماء يمتلك علماً وأسراراً. وبدخول الثعبان لجوف الأرض، ينتزع أسرارها فعند بعض شعوب الشرق رمز المعرفة... وبخاصة في مصر القديمة، حيث كشف أسراره للربة ايزيس، ونقلتها هذه بدورها إلى الفرعون.. ومنذ الأسرة الحاكمة الأولى يحمل الفرعون اسم الثعبان: ويحمل النصب الذي وجد في قبره صورة قصر يعلوه ثعبان، هو في آن واحد طلسم الحيوان واسم الملك، وهي تمثل في رأي بعضهم روح الملك الميت هنا، الذي يبقى وسط القصر، وهذا النصب الشهير للملك الثعبان يرجع بتاريخه إلى 3000 سنة قبل الميلاد"(العذارى، 119)، كما في الشكل (3).

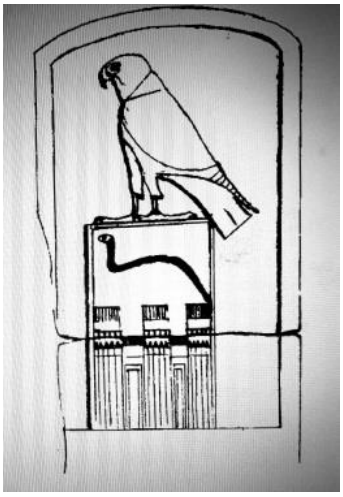

الشكل (3) يمثل نصب تذكاري للملك – الثعبان، يحمل اسم ملك من الأسرة الأولى، ممثلاً بالثعبان في وسط القصر محمياً بالإله حورس. حجر كلسي مصر، حوالي 3000 ق. م – متحف اللوفر.
المصدر: الرموز في الفن والأديان والحياة، مرجع سابق

وأحياناً يكون الثعبان هو رمز الشر. ففي بابل، "الإله مردوخ– الذي هو نفسه على شكل تنين ذي رأس ثعبان مقرن، شكل (4) يصرع الثعبان الذي يمثل الشر. ذلك هو رمز لصراع الخير والشر"(سيرينج، 123).

الشكل (4) بوابة بابل

وهذا الصراع يظهر أيضاً على عملة فينيقية تمثل صراع الإله قدموس مع الثعبان الذي قتل أصدقائه. شكل (5).
والحية رمز الخصب والبعث والقيامة والخلود،"لأنها تنبثق من الأرض في كل ربيع مع تجدد النبات"(سيرينج، 128)، كما في الشكل (6)، وهو عمل يعود إلى الحضارة الفينيقية أيضاً،

وتظهر فيه الآلهة عشتارت وهي محاطة بثعابين كرمز لخصب الطبيعة.

الشكل رقم (5) نقد برونزي صادر عن صور، حمل في مركز الظهر نقش الإله قدموس يصارع الثعبان

وكان المصريون القدماء "بدءاً من الأسرة الخامسة والعشرين يحملون حيتي كوبرا منتصبتين، بينما في السابق لم يكن للحاكم سوى واحدة، ولكنها أصبحت مزدوجة على بعض التماثيل التي تعود لطقس البعث. وتؤكد النصوص أن الحيتين تساهمان بإيقاظ الفرعون الميت.."(سيرينج، 129) الشكل (7)، كما أنها أصبحت حامية وداعمة للآلهة .

الشكل (6) الآلهة الفينيقية عشتارت

المصدر: محمود حمود، الديانات السورية القديمة

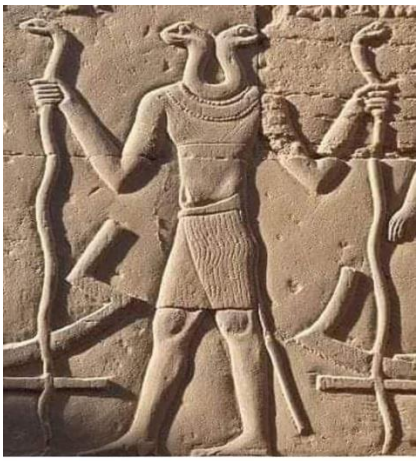

الشكل (7)

وفي أعمال النحت الرافدي، تتداخل الواقعية والرمزية في تصوير تكوينات أشكال الثعبان "في توليفة إيحائية اعتمدت السياقات التي تحكمها الاتجاهات الفكرية التي تحمل لغة الخطاب الرافدي، حيث تمثل الحية رمزاً لابن إله الشفاء"(سيرينج، 133)، وتأويلات أخرى وبأشكال مختلفة توحدت في تأويلاتها ومعانيها داخل السياقات الفنية.

وإذا كانت مشكلة الموت والبعث عن الخلود قد لازمت النفس البشرية بشكل دائم فإنها قد عولجت بشيء من الفلسفة والسحر الشاعري في أسطورة جلجامش التي هي واحدة من أبرز الأعمال في الشرق القديم، حيث ارتبطت برمزية الثعبان. الشكل (8-9).

في بحثه عن سر الخلود، وبعد مغامرات عديدة، استطاع جلجامش الوصول إلى الحكيم الذي سيدله على نبتة الشباب الخالد التي تنمو في أعماق البحر، فما كان من جلجامش إلا أن غطس، وجنى النبتة ليعود وهو يحملها، وفي أثناء عودته، وبينما كان ينام اختلست حية منه النبتة وأكلتها، وهكذا فازت بالخلود، فما أن تشعر بالشيخوخة حتى تُغيّر من جلدها وتعاود شبابها. ورجع البطل في حالة من الإحباط.

الشكل (8)

الشكل (9)

والثعبان رمز جنائزي، فمن المعروف "لدى كثير من الشعوب القديمة أو البدائية أن الأموات يمضون تحت الأرض... مثل الثعبان. وكذلك هو رمز للربات الكبرى المشاركة في الخاصية المقدسة مع الأرض والتي هي في الوقت ذاته ألوهة جنائزية، وبذلك يصبح الثعبان الحيوان الجنائزي بامتياز"(سيرينج، 134).

فكان يوضع تمثيل للثعبان في المقابر أو كانت تُزيَّن المومياء المصرية أحياناً بـ "رؤوس أفاعي وكان يتم صنعها بعناية كبيرة شكل(10)، لأن الثعبان هو الحارس للمغلاق الذي يمسك الأبواب مغلقة لمختلف أقسام العالم الآخر. وقد كانت رئيسة عمال المقبرة الطيبة الربة – الحية مير سيجر صديقة الصمت – ولها معبدها على الجبل، حيث أظهرت الحفريات عدداً كبيراً من النُّصب والنذور، التي تشير إلى أن الربة الحية كانت مبجّلة جداً"(سيرينج، 136).

الشكل (10)

والثعبان رمز للقمر، "لأنه مثله، يظهر ويغيب، يتحول ويتولد دورياً.."(سيرينج، 138). وهو الحارس و"رمز التيقظ، لأنه لا ينام، وعيناه مفتوحتان وللسبب ذاته، اعتقد بأنه يُنوِّم مغناطيسياً... وله جفن ثابت تحت شكل قشرة شفافة.."(سيرينج، 139).

وفي مثال آخر، الشكل رقم (11)، ثعبان طويل مُلتف حول إله وُجد في قطنا، في إشارة إلى حماية الثعبان له، بدليل قربه منه، وإحاطته بكامل جسده.

الشكل (11) تمثال إله من قطنا

المصدر: محمود حمود، الديانة السورية القديمة.

وللتقريب أكثر من رمزية التفاف الثعبان نجده أصبح رمزاً للطبابة والعلاج أيضاً، كما في الشكل (12).

الشكل (12)

ثانياً: القيم التشكيلية للثعبان:

تُمثِّل القيم التشكيلية الصفات التي تجعل الشيء مرغوباً به، وتكشف عن تلك الصفات لتجعله شكلاً فنياً له قيمته وتقديره. فالعملية الفنية يمكن أن تحدد صفات الثعبان، وتكشف عن قيمه التشكيلية لأنه يتشكل ببساطة من خط ولون وكتلة وفراغ وضوء وظل.

وفي هذه الفقرة سيتم الوقوف عند العناصر التشكيلية وتطبيقها على الثعبان كمفردة مهمة من المفردات الداخلة في تركيبة الأعمال النحتية، وبالتالي، إبراز الغرض الدلالي والفني والجمالي منها.

الخط:

يُعرف الخط هندسياً بأنه الأثر الناتج عن تحرك نقطة، ويعبر به الفنان عن الحركة ويوحي بالكتلة أو الشكل الصلب. ومن خلاله يمكن ضبط التكوين وإظهار ملامحه الفنية.

وكما هو مُلاحظ، فإن أي شيء أو أي عملٍ نحتي، لا يكاد يخلو من الخط بخصائصه المختلفة والمتنوعة، كأن يكون الخط مستقيماً أو بسيطاً، أو قوياً، أو ضعيفاً، أوسميكاً، أو ناعماً.

من هنا يمكن تحديد خطوط الثعبان، حيث يتمتع أولاً بخطوط بسيطة، أي من خط واحد وقد يأتي على شكل خطوط منحنية، أومقوسة أو مائلة، كما في الأشكال (1– 2 –3 –6)

وخلال العمل تتشكل من الخطوط علاقات (تشكيلية)، وتربط الخطوط نفسها والأشكال ببعضها البعض، لتُنتج علاقة تشكيلية تُبرِز قيم جمالية ومعنى محدد.

وبالنسبة لدرجات الخط، فإن كثيراً من أعمال نحت الثعبان تظهر بدرجات متعددة ومتباينة من الخطوط، وعرفت هذه الدرجات بالقيم، فتميل الخطوط بين الناعم، شكل (1) والخشن، شكل (10). وتعتبر هذه القيم بالنسبة للنحات ذات قيمة تشكيلية وجمالية كما في الأشكال السابقة.

من خلال ما سبق، يمكن تحديد القيم المتشكلة بفعل الخط من خلال نقاط عدة:

مسار واتجاه الخط، أي نحو الأعلى أو الأسفل، وباتجاه اليمين أو اليسار، مدى استقامة الخط أو انحنائه أو انكساره، أو تواصله أو تقطعه، وعلاقة خطوط الثعبان بكل عناصر العمل النحتي، وطبيعة سطح المادة المشغول عليها، وطبيعة المواد المشغول بها وتقاطع الخط أو توازيه أو تعامده للعناصر التصميمية الأخرى، كل ذلك يؤدي بالمحصلة إلى إبراز القيمة الجمالية والفنية لقيم الخطوط التي تُشكِّل الثعبان الذي هو (خطٌ مُجرّد) بحد ذاته.

ويوجد الخط في الثعبان بأنواع متعددة ومتنوعة وبصورة طبيعية، فيحدد حركة الثعبان ومساره واتجاهه، أي نحو الأعلى أو الأسفل باتجاه اليمين أو اليسار. كما أن الخط يصف الحركة المحورية للثعبان، وتأثير الخط ينتج عن وجود مساحات وأشكال وألوان وإضاءة وظلال ناتجة عن الحركة المحورية أو المائلة للثعبان.

اللون:

"اللون هيئته كالسواد والحمرة ولونته فتلون ولوُنُ كل شيء ما فصل بينه وبين غيره والجمع ألوان"(ابن منظور، 367). وهو" صفة الشيء وهيئته من البياض والسواد والحُمرة وغير ذلك، وهي حصيلة الأثر الذي يحدثه في العين النورُ الذي تبثه الأجسام"(مسعود، 1992، 700). و" لوَّن الشيء تلويناً: جعله ذا لون. وتَلَوَّنَ الشيء: صار ذا لون واكتسى لوناً غير الذي

كان له، واختلفت ألوانه. وإلْوَنَّ إلواناً: بمعنى تلوَّن. واللون أحد أقسام الطيف الأصلية"(مؤلفين، ص1824).

وإذا حددنا سمات وخصائص ألوان الثعبان في النحت، نجد أنه قد تميّز بطريقتين: اللون الأصلي، واللون البعيد عن تمثيل الواقع، كاللون الأزرق والوردي والبنفسجي والذهبي (الشكل 10).

وتأتي أهمية اللون وقيمته في شكل الثعبان من خلال الإيقاع الذي يُحدِثه، وتوجيه مساراته، والتعبير عن حركته وانفعالاته وتحويل الحركات المفصلية فيها إلى مزيج صبغيّ تتداخل فيه الألوان وأنماط الرسوم وتغدو معه الأشكال أجساماً نابضة بالحياة. وبذلك يتحول اللون إلى أشكالٍ معبرةً، وبالتالي، يغدو العمل النحتي معبراً عن مضامين وفق التخطيطات اللونيّة، فينعكس في شكل الثعبان حيوية الإيقاع والحركة.

التكوين:

التكوين، هو "وضع صورة قابلة للفهم أو عمل عقلي قابل للفهم مع تناسق عناصره، بصورة ذات دلالة وإيحاء يخضع هذا لقواعد متفق عليها"(وهبة، 1974، 82). ويقصد به توزيع العناصر الفنية وتنظيمها وفقاً لمبادئ التصميم. وأما أسس التكوين فيقصد بها الأساليب التي يمكن ترتيب العناصر بها من أجل إيجاد تكوين ذو قيمة جمالية مرغوبة.

في النحت تظهر أمثلة كثيرة على القيمة الجمالية والتعبيرية للتكوينات المأخوذة من الثعبان، حيث تتضافر العناصر التشكيلية في سبيل ضبط تكوينه، أو يكون شكل الثعبان نفسه صالحٌ لتكوين فني. فقد تميزت على سبيل المثال الأشكال السابقة بالمهارات الإبداعية في تصميم وبناء التكوين الفني للثعبان، والتقنية التي نفذ بها، واستطاعت هذه المهارات من توظيف الثعبان توظيفاً بنائياً وتعبيرياً.

الملمس:

هو ما يمثل المظهر الخارجي المميز لأسطح الأشياء والمواد. كما ويُعد ملمس الثعبان من المصادر الطبيعية للملامس التشكيلية، والذي حاول الفنانون والنحاتون التعبير عنه.

ولما كانت للمواد المستخدمة في نحت الثعبان تقنياتها ومعالجاتها التشكيلية، فقد عبَّر النحات عن الملامس المتعددة للثعبان بطرق عدة، منها عن طريق استخدام العناصر التشكيلية، التي سبق ذكر بعضها، أو عن طريق الحفر، أو من خلال استخدام عجائن معينة (الطين مثلاً).

ويتمتع الثعبان بخاصية بنائية تحدد صفة سطوحه المتنوعة الملامس. وقد أدرك النحات القديم هذه الخاصية، فشرع يعالج السطح الخشن على اعتبار أن هذا السطح يُحدث الظل والنور، كما في الشكل (4-10)، كذلك هناك سطوحاً ليّنة، وناعمة، وقوية (الشكل 1-11).. وكلها تدل بشكل أو بآخر على الدلالة المطلوبة من نحت الثعبان. ولإحداث هذا التأثير في العمل النحتي، استخدم النحات مواد وتقنيات تحاكي ملامس وأسطح الثعبان.

الظل والنور:

عموماً، تُدرَك الأشكال وعناصرها البصرية بفضل مصدر ضوئي، وينعكس بالتالي على المسطحات والأجسام بقدر خصائصها التي تستقبل كمية الضوء.

من هنا يمكن القول أن النحات القديم قد وظَّف هذا العنصر التشكيلي للتعبير عن رمزية الثعبان، وتحقيق السيادة المركزية للموضوع (الثعبان)، واستخدم لهذه الغاية مواد معينة تبرز من خلالها قيمة الظل والنور، ليظهر العمل النحتي وموضوعه بصورة أكثر تبايناً ووضوحاً وتحقيق التأثير النفسي المنعكس من أشكال الثعبان النحتية بفضل إدراك النحات للعلاقات التشكيلية المنبثقة من عناصر العمل الفني كالخط واللون، والملمس، والتي من خلالها يتحقق مضمون العمل، أي معاني ودلالات وأهمية الثعبان.

الإيقاع:

كل شيء يتحرك لا بد وأن يُحدِث إيقاعاً يخصّه. وللثعبان إيقاعه الخاص به، والذي يُنظِّم حركته، وثباته، وسكونه. وإيقاع الثعبان يتحقق عن طريق تكرار الوحدات الجزئية أو

أشكاله الكلية، وكتلته، وملامسه المتنوعة، بما يحقق التناغم والتوازن.

ويظهر الإيقاع بوفرة في الأعمال النحتية القديمة للثعبان، من خلال تكرار كتله أو الوحدات الجزئية. الأشكال (1-6-9).

النتائج:

1- ارتبطت رمزية الثعبان بالحياة الدينية والتقديس ارتباطاً شديداً، حيث كان الثعبان الحامي، والإله.

2- برزت في أشكال الثعبان القيم التشكيلية بعناصرها العديدة، والتي عبّر من خلالها النحات عن رمزية الثعبان ودلالاته المتعددة بتعدد الثقافات والرؤى.

3- يكاد يكون الثعبان من العناصر الرئيسة التي جاورت الإنسان، حيث برز كفاعل في الأساطير، والملاحم، و

4- إن السمات والمميزات الخاصة بتجسيد الثعبان في أعمال النحت القديم ميزته عن الكثير من الحيوانات لما يحتويه منقيم تشكيلية وجمالية تخصه.

5- دللت رموز الثعبان على الجوانب النفسية، وعلى رغباتهم اللاواعية، مما دفع بالنحات القديم التعبير عنه حتى أقصى درجات التعبير.

6- كثير من الأعمال النحتية دلَّت على القيم التشكيلية للثعبان، وأظهرته كطابع جمالي.

التمويل: هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

References:

1-ابن منظور، لسان العرب.
2-أنغام سعدون العذارى، بنية التعبير في الفن العراقي القديم، ط1، دار مجدلاوي، عمان – الأردن، 2005.
3-جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، ط7، 1992.
4-فيليب سيرنج، الرموز في الفن – الأديان – الحياة، ترجمة، عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، 1992.
5-كارل. غ. يونغ، الإنسان ورموزه – سيكولوجيا العقل الباطن، ترجمة، عبد الكريم ناصيف، دار منارات.
6-لوك بنوا، إشارات.. رموز وأساطير، ترجمة، فايز كمنقش، ط1، دار عويدات، بيروت، 2001.
7-مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974.
8-مجموعة من المؤلفين، معجم النفائس الكبير، دار النفائس.
9-محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط2، دار المعارف، مصر، 1984